الأسطورة في تفسير الطبري

إعداد الباحث

محمد عبد العزيز محمد خليفة

عدد يونيو ٢٠١٨

المقدمة

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه ،ملء السماوات و ملء الارض و ملء ما بينهما وملء ما شاء ربنا من شئ بعد، أهل الثناء و الحمد أحق ما قال العبد و كلنا له عبد:(إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّآتِي الرَّحْمنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْأَحْصاهُم وَعَدَّهُم عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْدًا (٩٥)}.مريم الآيات(٩٣-٩٤-٩٥)

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له و أشهد أن سيدنا محمدًا عبده و رسوله. اللهم صل و بارك علي سيدنا محمد و علي أله و صحبه و سلم.

و بعد:

إن الله تعالي وفقني لاختيار هذا البحث لنيل درجة الماجستير ،و هو بعنوان (الأسطورة في تفسير الطبري).

لقد اهتم علماء الإسلام علي مر العصور بتفسير القرآن الكريم اهتمامًا لم ينله أي كتاب في تاريخ البشر كما قرر ذلك الكاتب الألمعي مصطفي صادق الرافعي في كتابه(إعجاز القرآن)[١] و هو يتحدث عن كثرة التفاسير بقوله :(إنه لا يعرف في تاريخ العالم كله – من لدن أرخ الناس – كتاب – بلغت عليه الشروح و التفاسير والمصنفات المختلفة ما بلغ من ذلك علي القرآن ولا شبيهًا منه ،حتي فسرته الروافض بالجفر علي فساد ما يزعمون و سخافة ما يقولون و علي سوء الدعوي فيما يدعون من علم باطنه بما وقع إليهم من ذلك الجفر)

[١] كما نقل عنه الدكتور احمد الشرباصي في كتابه قصة التفسير ٥١/٢ هدية مجلة الازهر لشهر رجب ١٤٢٧هـ

و لقد أحصي (صاحب كشف الظنون)[١] عدد التفاسير فبلغت ثلاثمائة و نيفًا ،إلا أن هذه التفاسير مع كثرتها انزلق كثير من مؤلفيها إلي حشوها بالأساطير و الإسرائيليات و هذا مما لا شك فيه يمثل خطرًا كبيرًا علي عقائد المسلمين و علي عقولهم كما أنه يخضع العقل المسلم للأساطير و الخرافات التي تعوق تقدم المسلمين في شتي مناحي الحياة ،وتقف عائقًا أمام تجديد الخطاب الديني و خصوصًا أن هذه الأساطير والخرافات ما زالت تردد علي أسماع الناس علي أنها دين ،والدين منها براء ؛لأن الدين يرفض الأساطير و الخرافات التي لا أساس لها .و لما كان العديد من القصص متعلقًا بوقائع قد مرعليها من العصور و الأزمنة ما لا يعلمه إلا الله تعالي ،و كثير منها من الأمور الغيبية التي لا أثر يدل عليها ،و جاء بعضها في تراث أهل الكتاب وحضارات الأمم السابقة مثل الحضارة الفرعونية ،و البابلية ،و السومرية و التي تأثر بها مفسرو القرآن.

و تفسير (جامع البيان)للإمام الطبري رحمه الله تعالي مع عظمة المؤلِف والمؤلَف،فقد وقع الإمام الطبري في الأساطير و الإسرائيليات في مواضع كثيرة ،و ما زالت هذه الأساطير تقرأ و تروج بين الناس علي أنها دين ،

و ربما اكتسبت مصداقيتها من قيمة الإمام الطبري رحمه الله تعالي كعالم من علماء الإسلام الأفذاذ.

و تظهر أهمية هذا البحث في أنه يلقي الضوء علي الأساطير التي تسللت إلي كتب تفسير القرآن الكريم ،

---

[١] المصدر السابق

و أساءت إلي الإسلام قديمًا و حديثًا ،و استخدمها أعداء الإسلام كوسيلة للطعن في الإسلام.

و لقد واجهت أثناء بحثي بعض المتاعب و الصعاب، التي تمثلت في ندرة المؤلفات في هذا المجال ، التي ترصد الأساطير في تفسير الإمام الطبري و التفاسير الأخري وتقارنها بأساطير حضارات الأمم الأخري.

و لقد استخدمت في بحثي هذا، مناهج البحث الآتية:

المنهج الاستقرائي:والذي من خلاله أقوم باستخراج الأشكال و الصور المختلفة للأساطير في شتي المجالات المختلفة في تفسير الإمام الطبري رحمه الله تعالي.

المنهج التاريخي: و أقوم من خلاله برصد بعض الأساطير ذات الصلة ،و المتشابهة لدي حضارات الأمم السابقة.

المنهج التحليلي: و أقوم من خلاله تحديد المعني الأسطوري و من ثم تحليله و الرد عليه.

و لقد قسمت بحثي هذا إلي مقدمة، و أربعة فصول ،و خاتمة.

أما الفصل الأول: فقد تعرضت فيه لتعريف الأسطورة و أقسامها ،و المواضع التي وردت من خلالها كلمة أسطورة في القرآن الكريم ،و كذلك تعرضت لتعريف الخرافة و نشأتها ،و الفرق بين الأسطورة و الخرافة،ثم تطرقت بعد ذلك إلي بيان الصلة بين الدين و الأسطورة مع ذكر نماذج من الأساطير التي توضح هذه الصلة .

و في الفصل الثاني : فقد عرضت بعضًا من سيرة و حياة الإمام الطبري من حيث ولادته و نشأته و شيوخه و تلامذته و وفاته و العلوم التي اشتغل بها ،و مكانته بين المفسرين، والأسباب التى أدت إلي وقوع الإمام الطبري في الأساطير و الإسرائيليات.

وفي الفصل الثالث: عرضت نماذج للأساطير في تفسير الإمام الطبري في مجالات العقائد و العبادات
والمعاملات.

وفي الفصل الرابع: تعرضت للأسطورة في إسرائيليات الطبري، و قمت بعرض صور لهذه الأساطير، كذلك قمت بتفنيد بعض الأساطير التي وردت في تفسير الطبري مع ذكر ما يقابلها من أساطير في الأديان
و الحضارات الأخري إن وجدت، ثم القيام بتفنيدها و الرد عليها. ثم تطرقت إلي دور العلماء في تنقية التفاسير من الأساطير قديمًا و حديثًا.

الفصل الأول :<u>المبحث الأول</u>

الأسطورة

إنه بالنظر في معاجم اللغة العربية، وجدنا أن أصحاب المعاجم لم يتوقفوا كثيرًا عند كلمة (الأسطورة) ويقوموا بتوضيح معناها ،مع أن كلمة أسطورة عربية خالصة ،لذلك لم نجد الإمام الزركشى [١] في كتابه (البرهان في علوم القران) يذكرها في غريب القرآن ،وكذلك الإمام السيوطى[٢]في كتابه(الإتقان).

---

[١]- هو محمد بن بهادر بن عبد الله بن بدر الزركشى، ولد الإمام الزركشى بالقاهرة عام ٧٤٥هـ وكان يكنى بأبى عبد الله واشتهر بالزركشى /ولقد اشتغل بالفقه والحديث والتفسير وترك مصنفات كثيرة – توفى ٧٩٤ هـ وقد عاش تسعاً وأربعين سنة مصادرالترجمة (طبقات الشافعية –الدرر الكامنة – شذرات الذهب).

[٢]- هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل ،عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى – ولد السيوطى بالقاهرة سنة ٨٤٩هـ ،ونشأ يتيماً، إذ توفى والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة

ولنأخذ على ذلك مثالين لمعاجم اللغة :

الأول : (مختار الصَّحاح)

"س ط ر – (السَّطْرُ) الصف من الشئ يقال بنى سطرًا وغرس سطرًا و(السَّطْرُ) أيضًا الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر وبابه نصر و (سَطَرا)أيضاً بفتحتين والجمع (أسْطار) كسبب وأسباب وجمع الجمع (أساطير) وجمع السطر (أسْطر) و(سُطور) كأفلس وفلوس و(الأساطير) الأباطيل، الواحد (أسْطُورة) بالضم و (إسْطَارة) بالكسر".[١]

المثال الثانى: (القاموس المحيط)

السَّطْرُ : الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره.

ج: أسْطُرُ وسُطُور وأسْطار ،جج:أساطير ، والخَطُّ ، والكتابة ، ويحرك في الكل ، والعقود من الغنم، والقطع بالسيف ، ومنه الساطِرُ: للقصَّاب ، والساطور : لما يقطع به ، واسْطَرَ :كتبه ،والأساطير :الأحاديث لانظام لها ، جمع إسْطار وإسْطِر ، بكسرهما

وأُسْطُور ،وبالها في الكل وسَطْرَ تسيطيرًا :ألف ، و–عَلَيْنا :أتانا بالأساطير والمُسَيطْرُ : الرقيب الحافظ ،والمُتَسلط كالمُسَعر ، وقد سَيْطر عليهم سَوْطر وتسيطر

أشهر ، وقد نشأ محباً للعلم مغرماً به. وكان السيوطى –رحمه الله عفيفاً كريماً صالحاً تقياً ، قانعاً برزقه من خانقاه الشيخونية وهو إلى جانب ذلك معتز بنفسه ، ولايرى في معاصريه نداً له. توفى السيوطى سنة ٩١١هـ مصادر الترجمة (الضوء اللامع – حسن المحاضرة – شذرات الذهب – البدر الطالع).

[١]– مختار الصَّحاح – لأبي بكر الرازي – دار التوفيقية للتراث – القاهرة.

والمُسطار: الحمرة الصارعة لشاربها ، أو الحامصة ، أو الحديثة ، والغبار المرتفع في السماء . وأسْطر اسمى : تجاوزالسطر الذى فيه اسمى ،و–فلان : أخطأ في قراءته . والساطِرون : ملك من ملوك العجم ، قتله سابور ذو الأكتاف . والسَّطْرةُ بالضم : الأمنية ، وكسَكْرى: ة بدمشق[١]

أما الأسطورة في الاصطلاح، فلها تعاريف كثيرة منها :

١- "هي القصة المقدسة التي كان أصحاب الحضارات السابقة يؤمنون بها على أنها كتابهم المقدس . وتتميز الأسطورة بعمقها الفلسفى الذى يميزها عن الليجندة مثلًا، أو الحكاية الشعبية".[٢]

٢- "أو الأسطورة هي حكاية مقدسة ، انبثقت عن الشعائر الأولى، وقد منحها هذا سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم في زمانها ، ومن خلال المنظومة الدينية التي تنتمى إليها".[٣]

بينما يرى علماء النفس:" أن الأسطورة تعبير عن ميول وقوى نفسية دائمة غير معترف بها، وأول من توصل إلى هذا التفسير هوسيجموند فرويد Sigmund Freud أشار فوريد إلى وجود أوجه شبه متعددة بين أساطير معروفة ورموز تظهر في الأحلام لتمثل دوافع غريزية قوية. لذا، أطلق على هذه الدوافع أسماء شخصيات أسطورية إغريقية".[٤]

---

[١]- القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- دار الحديث – القاهرة- طبعة ٢٠٠٨م.

[٢]- مفهوم الأسطورة في القرآن الكريم – د. محمد شامة – مكتبة وهبة – القاهرة.

[٣]- الأسطورة والمعنى – فراس السواح- دارعلاء الدين – دمشق.

[٤]- أساطير إغريقية – د. عبدالمعطي شعراوي – مكتبة الأنجلو المصرية – الجزء الأول – ط الثالثة.

"ويعتقد العالم الألمانى كريوتسدcreuzed الذى اهتم بالجانب الدينى في الأسطورة ، أن الأسطورة نوع من أنواع التعاليم الدينية، نشأت نتيجة وحى دينى أصيل ، ثم تم نقلها إلى الأجيال التالية ".[١]

المبحث الثاني

الخرافة:

المطلب الأول:

١-تعريف الخرافة لغة واصطلاحًا:

إننا إذا نظرنا إلى معاجم اللغة، لوجدنا أن كلمة (خرافة) ذكرت في معاجم اللغة على نحو أفضل قليلًا مما ذكرت به كلمة (أسطورة)، ولنأخذ على ذلك مثالين لمعاجم اللغة:

المثال الأول: (مختار الصحاح).

" خ ر ف – (المخْرَفةُ) بوزن المتربة الطريق وهو في حديث عمر رضي الله عنه، و (الخَرُوف) الحمل . و(الخريف) أحد فصول السنة (تُخْترف) فيه الثمار أي تُجتبي والنسبة إليه (خَرْفي) و (خَرَفي) بسكون الراء وفتحها، (وخُرَافة) اسم رجل من عذرة استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه، وقالوا حديث خرافة، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (خرافة حق)، والراء فيه مخففة، ولا تدخله الألف واللام لأنه معرفة إلا أن تريد به الخرافات الموضوعة من حديث الليل وخَرَف الثمار

١- **المصدر السابق.**

اجتناها وبابه نصر والثمر(مَخْرُوف) و(خريف) و(الخَرَف) بفتحتين فساد العقل من الكبر وبابه طرب فهو (خرِف)" [١]

المثال الثاني : (القاموس المحيط).

"خرف الثمار خَرْفًا ومَخْرِفًا ومَخْترفًا، وخَرافًا، ويُكْسَرُ: جَناه كاخْتَرَفَه، و- فلانًا: لقَطَ الثمر.

وكمَرْحَلَة: البستان، وسكة بين صفين من نخل يَخْترف، المُخْترف من أيهما شاء، والطريق اللاحب. كالمَخْرف، كمقعد فيها، وكمقْعِد: جنى النخل، وكمِنْبر: زنبيل صغير يُخْترف فيه أطايب الرطب. وكهُمزه: (ة) بين سنجار ونصيبين، منها أحمد بن المبارك بن نوفل المقرئ، وضياء بن الخريف، كزُبير: محدث.

والخَروفة الخَريفة: نخلة تأخذها لتلفظ رطبها، أو الخرائف: النخل التي تُخرص.

وكصبور: الذكر من أولاد الضأن أو إذا رعى وقوى، وهي خروفة، ج: أخرفة وخِرفان ومُهْرُالفرس إلى مضى الحول، أو إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة.

والخازن: حافظ النخل، وبلا لام: لقب مالك بن عبدالله، أبي قبيلة همدان. والخُرْفة، بالضم: والخَرايف: النخل التي تُخرص، وكأمير: ثلاثة أشهر بين القيظ، والشتاء تخترف فيها الثمار، والنسبة خَرْفِيَّ، وتكسر وتحرك، و : المطر في ذلك الفصل، أول المطر في أول الشتاء. وخُرِفْنا، مجهولًا: أصابنا ذلك المطر، والرَّطَبُ المجنى، والساقية، والسنة، والعام، وقيس بن صعصعة بن أبي الخريف محدث. وكسفينة: أن يُحفر للنخلة في مجرى السيل الذي فيه الحصى حتى ينتهي إلى الكُسْرية، ثم يُحشى، رملاً وتوضع فيه النخلة، والخَرْفي، كسَكْرى، الجلبان يحب م، مُعَرَّب: (خرْبا)، وكثمامة: رجل من عُذْرة استهوته الجن، فكان يحدث بما رأى فكذبوه، وقالوا:

---

[١]- **مختار الصَّحاح – محمد بن أبي بكر الرازي – دار التوفيقية للتراث – القاهرة.**

(حديث خرافة)، أو هي حديث مُسْتملح كذب والخَرَف، محرَّكة: الشيص، وبضمتين في قول الجارود رضى الله عنه: يارسول الله، قد علمت ما يكفينا من الظَّهر ذَوْد نأتي عليهن في خُرُوف، أراد: في وقت خروجهم إلى الخريف.

وكسحابه، ويكسر: وقت اختراف الثمار.

وخَرَف، كَنَصر، وفَرِحَ، وكرُم، فهو خَرِف، ككتِف: فسد عقله. وكفرح: أُولِعَ يأكل الخُرْفة.

وأُخرَفه: أفسده، و- النخل: حان له أن يُخرف، و- الشاة: ولدت في الخريف، و- القوم: دخلوا فيه، و - الدرَة: طالت جدًا، وفلانًا نخلة: جعلها خُرْفة يَخْترفها، و- الناقة: ولدت في مثل هذا الوقت الذي حملت فيه، وهي مُخْرِف.

وخَرَّفة تخريفًا: نسبة إلى الخَرَف، وخارفة: عامله بالخريف. ورجل مُخْارف، بفتح الراء: محروم محدود".[١]

أما الخرافة في الاصطلاح: "الحديث الباطل مطلقًا، وقيل الحديث المستملح من الكذب".[٢]

ويعرفها بوشان Buschan: " بأنها عبارة عن معتقدات غير منطقية، تفتقر إلى الدليل الموضوعي والتجريبى ولكنها تستمر في المجتمع لفترة طويلة" [٣]

ويعرفها جيمس دريفر James Driver : " أنها عقيدة أو نسق من العقائد قائمة على أساس صلة خيالية بين الأحداث، وغير قابلة للتبرير على أساس عقلي Rational arounds " [١]

---

[١]- **القاموس المحيط – مجد الدين الفيروز أبادي – دار الحديث – القاهرة – طبعة ٢٠٠٨م**

[٢]- **مفهوم الأسطورة في القرآن الكريم- د.محمد شامه – مكتبة وهبة القاهرة.**

[٣]- **الخرافات والسحر والشعوذة بين السعادة والوفاق واليأس والشقاق – الدكتورة سناء محمد سليمان – عالم الكتب – القاهرة.**

والخرافة بالرغم أنها اعتقاد لا أصل له، إلا أن من يعتقد في تلك الخرافة، لا يعتبرها خرافة، تقول الدكتورة سناء محمد سليمان:" الخرافة لا يعتبرها من يؤمن بها خرافة، وإنما يظل يعتبرها حقيقة إلى أن يتعلم العوامل السببية الأخرى المسئولة حقًا عن الظاهرة. إن المشاكل الغامضة المجهولة تسبب الشعور بالقلق للفرد، ويخلصه التفسير الخرافي من هذا القلق، فنرى أن ظاهرة الخرافة هذه توجد لدى المتعلمين وغير المتعلمين، ولدى الصغار والكبار، ولدى الجنسين المختلفين.. إذ أن الأمر ليس متعلقًا بمدى تواجد الخرافة؛ لأن ذلك واقع حقيقة ثابتة، ولكن الأمر متعلق حتمًا بمدى تقبلها نفسيًا، واختلاف الفئات أو المستويات في ذلك (العمر، الجنس، التخصص)" [٢]

المطلب الثاني :الفرق بين الأسطورة والخرافة .

يمكن لنا أن نفرق بين الأسطورة والخرافة، في النقاط التالية:

١- الأسطورة عادة ما تنكشف القصة أو الحكاية الأسطورية لتحتوى على عناصر خارقة للطبيعة مثل الآلهة، أم الخرافة هي المعتقدات فقط، لا تنبع من أي قصة.

٢- تستخدم الأسطورة كوسيلة للإرشاد واستلهام الحكمة والعظة غالبًا، أما الخرافة فلا تستخدم كوسيلة للإرشاد واستلهام الحكمة والعظة.

٣- تدور موضوعات الأساطير حول الوجود الكوني والخلق الإلهي للبشر، ولهذا تكون الآلهة، وأنصاف الآلهة مصدر القرار ومحور العمل في الأسطورة، أما الخرافة فهي معتقدات فقط في أمور معينة.

---

[١]- **المصدر السابق.**

[٢]- **المصدر السابق.**

٤- " الأسطورة حكاية مقدسة، انبثقت عن الشعائر الأولى، وقد منحها هذا سلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم، في زمانها، و من خلال المنظومة الدينية التي تنتمي إليها، وتثبت معتقدات تلك المنظومة وسطوتها على الاعتقاد والسلوك العام".[١]

وعلى ذلك فالأسطورة قصة مقدسة، لأنها تجري في الغالب بين آلهة أو ملوك مقدسة، أما الخرافة فهي تجري بين مخلوقات.

٥- إن الأسطورة قد يكون لها أصل منقولة منه، أو منقولة عنه، لذلك عبر الحق سبحانه وتعالى بقوله: **﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[٢] **(فالأسطورة)** قد يكون لها أصل صحيح ، ولكنها لحقها عبر العصور المختلفة تحريفًا جعلت منها شيئًا قد يرفضه الدين والعقل والمنطق، أما **(الخرافة)** فهي كلام باطل مطلقًا، لا أصل له على الإطلاق، ولقد نقل الدكتورعبد المعطي شعراوي في كتابه (أساطير إغريقية) عن روز Rose عدة خطوات لتفسير الأسطورة هي كالآتي:

"١- فحص الأسطورة، ومحاولة تحديد تاريخها في هذه الخطوة يجب ملاحظة أن ليس من السهل تحقيق ذلك. إذ قد يرد نص الأسطورة عند كاتب من كتاب القرن الخامس قبل الميلاد، ونص أخر لنفس الأسطورة عند كاتب ما التزم بنص الأسطورة الأصلية، بينما أضاف الكاتب الأول تفاصيل أخرى من عنده، أول من نادى بذلك هو ك أ. لوبك C.A.Lobck .

---

[١]- الأسطورة والمعنى – فراس السواح – منشورات علاء الدين – دمشق.

[٢]سورة الفرقان، الآيات: (٥ ، ٦).

٢- تحديد المكان الذي نشأت فيه الأسطورة الأصلية، هل نشأت في إحدى المناطق الإغريقية، أو نشأت بين شعوب إغريقية خارج بلاد الإغريق، أو ظهرت قبل عصر الإغريق، أو ظهرت بين شعوب غير إغريقية ثم وصلت في عصور متأخرة إلى بلاد الإغريق أول من حاول ذلك هو ك .أ. موللى K.O.

٣- تحديد النوع الذي تنتمي إليه الأسطورة: هل هي أسطورة خالصة، أو رواية تاريخية، أو قصة خيالية، أشهر من لاحظ ضرورة هذه الخطوة هما الشقيقان جاكوب جريم، و ويلهام جريم.

٤- مقارنة الأسطورة بأساطير أخرى نشأت بين شعوب أخرى، وقد أشار إلى ذلك كل من مانهارت وأندرولانج".[١]

ولقد أجمل الدكتور عبدالمعطي شعراوي أهم مناهج تفسير الأساطير في ثلاثة مبادئ رئيسية، هي كالآتي:

" ١- أن نقول أن الأساطير نصف حقائق تاريخية فذة.

٢- أن نعتبرها رموزًا لحقائق فلسفية دائمة.

٣- أن نتناولها كانعكاسات لعملية طبيعية تحدث مرة بعد أخرى إلى الأبد. "[٢]

الفصل الثالث

المبحث الأول :- نماذج للأسطورة في مجال العقائد

١-قال تعالى﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ

[١] أساطير إغريقية – د. عبدالمعطي شعراوي – مكتبة الأنجلو المصرية – الجزء الأول- الطبعة الثالثة.

[٢] - المصدر السابق.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُون(١)

كانت الشياطين في زمن ما يسترقون السمع من السماء ،ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ، ويلقونها إلى أحبار اليهود، والذين دونوا ذلك في كتبهم فكانو يقرؤنها على الناس، ويعلمونها لهم، وفشا ذلك في زمن سليمان ولقد نسبوا إلى سليمان هذا العلم الذي كان يسخر به الجن والإنس والطير، وهذا من افتراءات اليهود على الأنبياء. لذلك أنزل الله تعالى الملكين هاروت وماروت وأنزل معهما علم السحر، حتى يعلموا الناس شيئًا من السحر، ليعلم الناس الفرق بين النبوة والسحر، وأن سليمان لم يكن ساحرًا، وإنما كان نبيًا مرسلًا من عند الله تعالى. هذه الحقيقة زيدت عليها بعض الأساطير والتي روجت لأمور لا تليق بالملائكة المقربين، والتي نعتقد أنها مخلوقات قائمة على طاعة الله تعالى، فكيف ينسب إليهما الوقوع في الفاحشة، ثم كيف ترفع المرأة الفاجرة إلى السماء وتمسخ كوكبًا مضيئًا؟

- وللأسف فإن هذه الأسطورة كانت مما ذكره الإمام الطبري (رحمه الله) في تفسيره،وساق (رحمه الله تعالى) مرويات لم ترفع إلى المعصوم ومارفع منها حكم عليه أعلام المحدثين بالوضع والضعف ومنها :

"حدثنا محمد بن بشار : قال حدثنا معاذ بن هشام ، قال حدثنى أبى،عن قتادة ، قال :حدثنا أبو شعبة العدوى في جنازة يونس بن جبير أبى غلاب ،عن ابن عباس ، قال : أن الله تبارك وتعالى أفرج السماء لملائكته ينظرون إلى أعمال بنى آدم فلما

---

[١]-سورة البقرة، الآية: (١٠٢).

أبصروهم يعملون بالخطايا ،قالوا : يارب ،هؤلاء بنوآدم الذين خلقت بيدك ،وأسجدت له ملائكتك ،وعلمته أسماء كل شيء، يعملون بالخطايا . قال: أما أنكم لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم قالوا: سبحانك ما كنا ينبغي لنا. قال: فأمروا أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض، قال فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وأحل لهما ما فيها من شيء، غير لا يشركا بالله شيئا، ولا يسرقا، ولا يزنيا، ولايشربا الخمر، ولايقتلا النفس التي حرم الله إلا بالحق قال : فما أشهرا حتى عرض لهما بامرأة قد قسم لها نصف الحسن يقال لها :بيذخُت فلما أبصراها كشر إربًا ؛ فقالت :لا، إلا أن تشركا بالله، وتشربا الخمر، وتقتلا النفس، وتسجدا لهذا الصنم، فقالا ما كنا لنشرك بالله شيئًا .فقال أحدهما للأخر : ارجع إليها فقالت :لا، إلا أن تشربا الخمر. فشربا حتى ثملا، ودخل عليهما سائل فقتلاه، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الشر، أفرج الله السماء لملائكته، فقالوا : سبحانك كنت أعلم قال : فأوحى الله إلى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب الدنيا، فكبلا من أكعبهما إلى أعناقهما بمثل أعناق البخت وجعلا ببابل"[١]

المبحث الثاني

نماذج للأسطورة في مجال العبادات

١- قال تعالى﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢]

١ _تفسير الطبري/ ٣٤٢،٣٤١، ط دار هجر.

٢- سورة البقرة، الأية:(٢٤٨).

كان بنو إسرائيل يتقربون إلى الله تعالى بهذا التابوت، والذي احتوى على التوراة، كتاب الله تعالى المنزل عليهم، وبعض من آيات الله تعالى، ومعجزاته التي أيد بها موسى عليه السلام، وخاصة إذا نزلت بهم نازلة أو ضائقة، فكان الله تعالى ينصرهم، ويخفف عنهم، وينزل الطمأنينة على قلوبهم ببركته.

ولننظر إلى ماساقه الإمام الطبري (رحمه الله) من مرويات وأثار، وأقوالٍ لم ترفع إلى رسول الله ، في تفسيره لكلمة(التابوت) و (السكينة)، والتي اشتملت على كل غريب وعجيب، فقال (رحمه الله):

"وكانت صفة التابوت فيما بلغنا كما حدثنا محمد بن عسكر والحسن بن يحي، قالا: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا بكار بن عبدالله، قال: سألنا وهب بن منبه عن تابوت موسى ما كان؟ قال: كان نحوًا من ثلاثة أذرع في ذراعين".[١]

ثم تعرض بعد ذلك الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) إلى تفسير كلمة(السكينة)،فقال رحمه الله تعالى: " واختلف أهل التأويل في (معنى السكينة) ، فقال بعضهم: هي ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان."[٢]

ثم تعرض لذكر من قال بذلك، فذكر هذا الأثر عن على كرم الله وجهه، فقال:

"حدثنا عمران بن موسى، قال: ثنا عبدالوارث بن سعيد، قال: ثنا محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي وائل، عن على بن أبى طالب، قال: السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان". [٣]

---

[١] **الطبري ٤/٤٦٥ ، ط دار هجر.**

[٢] **المصدر السابق.**

[٣] **المصدر السابق.**

ثم تعرض الإمام الطبري(رحمه الله تعالى) إلى معنى أخر(للسكينة)، لايقل في غرابته عن الأول، فقال:

"وقال أخرون: لها رأس كرأس الهرة بجناحان".[١]

ثم تعرض الإمام الطبري لذكر من قال بذلك، وساق هذا الأثر عن مجاهد، فقال:

"حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبوعاصم، قال:ثنا عيسى، عن أبى نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى:(فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)[٢] قال:أقبلت السكينة والصرد وجبريل مع إبراهيم من الشام، قال ابن نجيح سمعت مجاهدًا يقول: السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان[٣]"

ثم ساق الإمام الطبري (رحمه الله) هذا الأثر عن مجاهد، فقال:

"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال السكينة لها جناحان وذنب"[٤]

ثم ذكر الإمام الطبري هذا الأثر عن مجاهد، فقال:

"حدثنا الحسن بن يحي، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: لها جناحان وذنب مثل ذنب الهرة".[٥]

المبحث الثالث

---

[١] **المصدر السابق.**

[٢] **- سورة البقرة، الأية:(٤٤٨).**

[٣] **- الطبري ٤٦٩/٤، ط دار هجر.**

[٤] **- المصدر السابق**

[٥] **- المصدر السابق**

نماذج للأسطورة في مجال المعاملات

١- **قال تعالى:** ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[١]

الحق تبارك وتعالى حدثنا، أن ملكة سبأ بعثت(بهدية) ولم يحدد لنا نوع هذه الهدية، كذلك لا يوجد خبر مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدد لنا نوع هذه الهدية، ومع ذلك ساق لنا الإمام الطبري (رحمه الله) مرويات تحدد لنا نوع هذه الهدية، فقال الإمام الطبري:

"حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال ثنى عمر، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قالت (وإني مرسلة إليه بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفاء، وألبسهم لباسًا واحدًا حتى لا يعرف ذكر من أنثى، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية فإنه نبي، وينبغي لنا أن نترك ملكنا، ونتبع دينه ونلحق به"[٢]

ثم ساق الإمام الطبري(رحمه الله) هذا الأثر عن ثابت البناني، يذكر فيه ثابت أن الهدية كانت (صفائح الذهب في أوعية الديباج)، فقال:

"حدثنا الحسين، قال: ثنا سفيان، عن معمر، عن ثابت البناني، قال: أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج، فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب، ثم أمر به فألقى في الطرق، فلما جاءوا فرأوه ملقى ما يُلتفت إليه، صغر في أعينهم ما جاءوا به".[٣]

١- سورة النمل، الأية: (٣٥).

٢- تفسير الطبري ٥١٦/٩، ط دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.

٣- المصدر السابق.

ثم ساق لنا الإمام الطبري هذا الأثر عن أبي صالح يذكر فيه، أن الهدية (لبنة من ذهب)، فقال:

"حدثنا عبد الأعلى،قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: ثنا إسماعيل، عن أبى صالح (وإني مرسلة إليهم بهدية) قال: أرسلت بلبنة من ذهب، وقالت: إن كان يريد الدنيا علمته، وإن كان يريد الآخرة علمته". [١]

الفصل الرابع

الفكر الديني ورؤيته للأسطورة

المبحث الثاني: كيفية تفنيد بعض الأساطير في تفسير الطبري

(١) الحوت نون

ما أورده الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) من أساطير في تفسير قوله تعالى { **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)**}[٤]

قال الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) في تأويل قوله تعالى **(ن)** .

"اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى : **(ن)** ، فقال بعضهم : هو الحوت الذي عليه الأرضون "[٥].

وساق هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال (رحمه الله تعالى):

" حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن سعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله من شئ القلم ، فجرى بما هو

١-تفسير الطبري ٥١٧/٩، ط دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٤ سورة القلم ، آية: (١).

٥ تفسير الطبري ١٤٠/٢٣ ، ط دار هجر .

كائن ، ثم رفع بخار الماء فخلقت منه السماوات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرك النون ، فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض . قال .

وقرأ : **(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)**"[١].

تفنيد الأسطورة والرد عليها :

إن العلم الحديث ، وما يقرره علماء الجولوجيا ، بأن طبقات الأرض والطابع التكويني لها لا يشتمل على هذه الخرافات والأساطير ، والأقرب إلى الصواب أن المقصود بـ **(ن)** هي الدواة ، وهو ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره عن أبي هريرة مرفوعًا إلى سيدنا رسول الله، فقال (رحمه الله تعالى): " حديث آخر ، في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولي بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله يقول : إن أول شئ خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ، ثم قال له اكتب ، قال وما اكتب ؟ قال : اكتب ما يكون أو ما هو كائن من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله :**(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)** ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ، ثم خلق العقل وقال وعزتي لأكلمنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت "[٢].

ويبدو أن هذه الأسطورة وجدت عند بعض الحضارات والثقافات الأخرى ، ثم تسللت عن طريق بعض المفسرين ، فقد وجدت في الحضارة الفرعونية القديمة ما يشير إلى هذه الأسطورة ، يقول أوزيريس : " بالحقيقة صار مقررًا أنه بي سوف يجد صورته ، وأن وجهه سوف يطل على الإله (تم) كم من الزمن حينئذ سوف أعيش ؟ لقد تقرر

---

١ تفسير الطبري ١٤٠/٢٣ ، ط دار هجر .

٢ تفسير ابن كثير ٩٩/٤ ، ط دار الحرم للتراث – القاهرة .

أنك سوف تعيش ملايين السنوات . حياتك ملايين السنوات عسى أن أوهب العبور إلى الأمراء المقدسين . لقد تخلصت من جميع ما قد فعلت من أخطاء منذ أن ظهرت الأرض إلى الوجود من النون (نو) ، وعندما انبثقت من لجة الماء في الزمن السحيق "[٣].

(٢) الجبل قاف

ما أورده الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) من أساطير في تفسير قوله تعالى : {ق}[١]

قال الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) في تفسير هذه الآية :

" وقال آخرون (ق) اسم الجبل المحيط بالأرض "[٢].

تفنيد الأسطورة والرد عليها :

قلت : وهذا جبل وهمي لا وجود له في الحقيقة ، وإلا لكشفه العلم الحديث عن طريق الأقمار الصناعية ، وأجهزة الرصد الحديثة ، والتي تتمكن من الكشف عن المعادن والبترول والمياه على أعماق كبيرة في باطن الأرض ، وقيعان البحار والمحيطات ، بل إنها تقوم بعمليات استكشافية على كواكب أخرى مثل المريخ وغيره .

ولقد رفض الإمام ابن كثير (رحمه الله تعالى) هذا التفسير ، وعلق عليه في تفسيره ، قائلًا : " وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا(ق) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض

---

٣ كتاب الموتى الفرعوني – برت إم هرو – مكتبة مدبولي – القاهرة .

١ سورة ق ، آية: (١).

٢ تفسير الطبري ، ٤٠١/٢١، ط دار هجر .

الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افترى في هذه الأمة – مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها – أحاديث عن النبي وما بالعهد من قدم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج). فيما قد يجوزه العقل ، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل ، والله أعلم . وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد و المنة حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (رحمه الله) أورد ههنا أثرًا غريبًا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : حدثنا أبي ، قال : حُدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي ، حدثنا ليث ابن أبي سليم عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا بها ،ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلًا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ، ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضًا مثل ذلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرًا محيطًا بها ، ثم خلق من وراء ذلك جبلًا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين ، و سبعة أبحر ، وسبعة أجبل ، وسبع سموات ، قال : وذلك قوله تعالى : (والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) . فإسناد هذا الأثر فيه انقطاع ، والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل: (ق) ، وهو اسم من أسماء الله عزوجل ، والذي ثبت عن مجاهد أنه

حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى (ص – ن – حم – طس – الم) ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقيل المراد : قضى الأمر والله ، وأن قوله جل ثناؤه (ق) : دلت علي المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر : قلت لها قفي فقالت قاف ، وفي هذا التفسير نظر ، لأن الحذف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه ، ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟ "[١].

(٣) عوج بن عنق

ما أورده الإمام الطبري (رحمه الله تعالى) من أساطير في تفسير قوله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا }[٢]

قال الإمام الطبري (رحمه الله تعالى):

" حدثني موسى بن هارون قال ، حدثنا عمرو بن حماد قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : أمر الله بني إسرائيل بالسير إلى أرْيحا ، وهي أرض بيت المقدس حتى إذا كانوا قريبًا منهم ، بعث موسى اثنى عشر نقيبًا من جميع أسباط بني إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبابرة ، فلقيهم رجل من الجبارين ، يقال له (عاج) ، فأخذ الاثنى عشر فجعلهم في حُجْزته ، وعلى رأسه حَمْلَة حطب . فانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا ! فطرحهم بين يديها ، فقال : ألا أطحنهم برجلي ! فقالت امرأته : بل خل عنهم حتى يخبروا قومه بما رأوا. ففعل ذلك"[٣].

تفنيد الأسطورة والرد عليها :

---

١ تفسير ابن كثير ٢٥٤/٤ ، ٢٥٥ ، ط دار الحرم للتراث – القاهرة .

٢ سورة المائدة ، آية: (١٢).

٣ تفسير الطبري ٤٨٩/٤ ، ٤٩٠ ، ط الكتب العلمية – بيروت .

إن ما ورد عن عوج بن عنق ، وعن طوله وضخامة جسمه لا يخرج عن كونه محض أساطير ، يقول الإمام ابن كثير (رحمه الله تعالى):

" وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل ، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين ، وأنه كان منهم عوج بن عنق ، بنت آدم عليه السلام ، وأنه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع ، تحرير الحساب ! وهذا شئ يستحي من ذكره. ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين : أن رسول الله قال : (إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى حتى الآن). ثم ذكروا أن هذا الرجل كان كافرًا ، وأنه كان ولد زنية ، وأنه امتنع من سفينة نوح ، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته . وهذا كذب و افتراء ، فإن الله ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين ، فقال: **{رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)}**[٤].

وقال تعالى : { **فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)}**[١] ، وقال تعالى : { **لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ}**[٢]

وإذا كان ابن نوح الكافر قد غرق ، فكيف يبقى عوج بن عنق ، ثم في وجود رجل يقال له : (عوج بن عنق) . نظر ، والله أعلم "[٣].

---

٤ سورة نوح ، آية: (٢٦).

١ سورة الشعراء ، الآيتان: (١١٩، ١٢٠).

٢ سورة هود ، آية: (٤٣).

٣ تفسير ابن كثير ٤٦/٢ ، ط دار الحرم للتراث – القاهرة .

الخاتمة

لقد تأثر أهل الكتاب بموروثات أسطورية لحضارات و ثقافات أمم سابقة ،مثل الحضارة البابلية، و السومرية، و الفارسية ،و الأشورية، و الفرعونية...إلخ .و قاموا بإلحاق هذه الموروثات الأسطورية بكتبهم المقدسة المنزلة من عند الله تعالي علي رسله تحريفًا لها و تبديلًا لها قال تعالي (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً يُحَرِّفُون الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَال تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَة مِنْهُم إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْف عَنْهُم وَاصْفَحْ إِنَّاللَّهَ يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ) المائدة الآية ﴿١٣﴾.

هذه الموروثات الأسطورية التي قبلها أهل الكتاب، لم يكن لها حدود، فقد طالت ذات الله تعالي ،و قدحت في عصمة الأنبياء و الرسل، و قبلت أمورًا يرفضها الدين و العقل و المنطق، و لقد تأثر الإمام ابن جرير الطبري، و غيره من الرواة الذين نقل عنهم في تفسيره بهذا الموروث الأسطوري لأهل الكتاب ،الذي نقله أهل الكتاب عن غيرهم من أهل الحضارات و الثقافات الأخري، أو قاموا هم بتلفيقه ووضعه.

إننا مهما التمسنا الأعذار للإمام ابن جرير الطبري ،إلا أنه كان عليه أن يرفض هذه الأساطير و الأباطيل التي تسئ إلي ذات الله تعالي، و تقدح في عصمة الأنبياء و الرسل ،و تنسب إليهم أمورًا يتورع عوام الناس علي فعلها ،ناهيك عن المرويات التي يرفضها العقل و المنطق.

لقد سكت الإمام ابن جرير عن كثير من هذه المرويات الأسطورية ،و تركها دون أن يبين زيفها و ضلالها ،وإن أشار إليها في مواضع قليلة أخري رفضًا لها تارة ،أو لأنه لا نفع من ذكرها تارة أخري.

إنني لا أخفي حيرتي و أنا أقوم بهذه الدراسة ،كيف للإمام ابن جرير الطبري أن يقبل مثل هذه المرويات الأسطورية، و هو إمام الرواية و الدراية؟

هل قام بعض أعداء الإسلام بدس هذه الأساطير و الأباطيل عليه في تفسيره من أجل الطعن في دين الإسلام؟

إنه مما يثير الدهشة و الحيرة أيضًا ،أنه كيف لتفسير عظيم كهذا كان موردًا عذبًا للمفسرين من بعده ،أن يظل مفقودًا إلي وقت قريب ،حيث عثر عليه في حيازة أمير حائل حمود بن الأمير عبد الرشيد من أمراء نجد؟

إن خطر الأسطورة لا يكمن فقط فيما تسببه من صدمة للعقل المسلم ،بل إن الأمر يتعدي ذلك ليصل إلي عقيدته ،كما نص علي ذلك الشهاب العراقي ،فيما نقله عنه العلامة الآلوسي في روح المعاني ،وهو يتحدث عن أسطورة هاروت وماروت بقوله :(من اعتقد في هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان علي خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر بالله تعالي العظيم ،فإن الملائكة معصومون.

أهم النتائج

لقد خلصت من خلال بحثي هذا الي النتائج الآتية:

١-إن الأسطورة قد يكون لها أصل منقولة منه ،وعلي ذلك فالأسطورة قد يكون لها أصل صحيح ،و لكن لحقها عبر العصور المختلفة تحريفًا جعل منها شيئًا يرفضه الدين و العقل والمنطق و ما ورد في القرآن الكريم من ذم للأساطير فقد جاء علي لسان المشركين لصد الناس عنه و التقليل من شأنه.

٢-إن هناك صلة وثيقة بين الدين و الأسطورة ،سواء كانت هذه الأديان سماوية لحقها التبديل والتحريف، أم كانت أديان وضعية.

٣-أما الإسلام فقد خلت نصوص القرآن من تلك الأساطير؛ و ذلك لأن الله تعالي تعهد بحفظ القرآن من التحريف والتبديل قال تعالي:(إِنَّا نَحْن نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافِظُونَ) الحجر:آية (٩) كذلك فإن الإسلام يرفض أي إعتقادلا يقوم علي الدليل و البرهان و المنطق.

٤-المفسر ابن بيئته يؤثر فيها و تؤثر فيه، و يعبر عن ثقافة عصره و التفكير الذي يسود فيه والذي لا يخلو من تلك الأفكار الأسطورية.

٥-إن قيمة الأسطورة قد تكتسب من قيمة المفسر و مكانته في نفوس المسلمين ،فتشيع و تنتشر بين الناس بقدر هذه المكانة.

٦-إن شيوع الأساطير، و تلقي الناس لها علي أنها دين ،يؤدي إلي شيوع الجهل و التخلف والرجعية ،وعدم احترام العقل ،و رفض الحقائق العلمية المقطوع بها.

التوصيات

إنه من أجل مواجهة الفكر الأسطوري ،و التصدي لخطره نوصي بالآتي:

١-لابد للعلماء و الدعاة أن يظهروا للناس دعوة القرآن الي إعمال العقل و التدبر والتفكر في آيات الله تعالي في الأنفس و الأفاق.

٢-العمل علي إحياء دور المسجد ،وذلك من خلال الدروس و الخطب التي تلقي من خلاله ،والتي يجب أن تعمل علي توعية الناس بخطر الأساطير و الأباطيل التي امتلأت بها كتب التفاسير علي الدين و العقل.

3- توعية الأئمة و الدعاة بخطر شيوع الفكر الأسطوري بين الناس، و ذلك من خلال عقد التدريبات

و الندوات التي تجعلهم علي وعي تام بالفكر الأسطوري ،و كيفية التصدى له و التحذير من خطره.

٤-جمع هذه الأساطير و الأباطيل و تفنيدها والرد عليها في كتب تدرس لطلبة المدارس ،والجامعات حتي يكونوا علي علم تام بها فيجتنبوها، ولا يكونوا صيدًا ثمينًا

لأعداء الإسلام والملاحدة الذين يتخذون من وجود هذه الأساطير في كتب التفاسير أداة للطعن في الإسلام وصد الناس عنه.

٥-علي الأزهر الشريف العمل علي تحقيق كتب التفاسير من خلال علمائه و تنقيتها من الأساطير و الأباطيل و الخرافات ،أو علي الأقل الإشارة إليها حتي يكون الناس علي وعي تام بها.

٦- إن أول بدايات تجديد الخطاب الديني لمن ينشده ،هو تنقية كتب التفاسير من الأساطير والإسرائيليات

و الخرافات التي أساءت إلي الإسلام ،وأدخلت عليه ما ليس منه وهو منه براء.

٧-يجب أن نتعامل مع التراث من خلال (النقد) ،هذا إذا أردنا تجديد الخطاب الديني،فهذا أمر لا يرفضه الإسلام ،فكل إنسان يأخذ من كلامه ويترك إلاصاحب الرسالة صلي الله عليه وسلم،وليس من خلال (النقض)؛لأننا إذا هدمنا التراث ،فماذا سوف نجدد إذن؟